١

مدخل إلى الروح والتربية الروحية

- معانى الروح فى القرآن الكريم.
- المقصود بالتربية الروحية.
- حاجة العالم اليوم إلى التربية الروحية والسمو الروحى.

الفصل الأول
مدخل إلى الروح والتربية الروحية

مقدمة:

يتكون الإنسان من عنصرين رئيسيين: عنصر مادى بمكوناته المادية، وعنصر روحى بمفهومه الشامل وبجوانبه الروحية المختلفة... عنصر مادى ينمو ويتغذى ويتحرك، نراه فى الجسد وما يتطلبه من تغذية مادية، وتربية جسدية، ونراه فى المخ والجهاز العصبى، الذى يحتاج ضمن ما يحتاج إلى غذاء مادى، وإلا لما كان هناك نمو عقلى، ونراه فى الأعضاء وفى الجهاز التناسلى الذى يحتاج أيضًا إلى غذاء مادى، وإلا لما كان هناك تناسل ولما كانت هناك تربية جنسية...

ذلك العنصر المادى بكل محتوياته ومكوناته يحتاج إلى عنصر روحى يهذبه ويضبط مساره... فقد يطغى الإنسان بجسمه وبقوته البدنية فيتجبر ويتكبر، وقد يجمع بعقله ونتاج فكره فيؤذى ويدمر، وقد ينحرف وراء شهواته ورغباته الجنسية فينتهك الأعراض ويلوث الأنساب...

لذلك فالروح والسمو الروحى مطلب أساسى ليحيا الإنسان حياة إنسانية حقة، وليعيش العالم فى أمن وأمان... والعالم اليوم بحاجة إلى ثقافة روحية وإلى تنمية روحية وسمو روحى، هذا العالم المادى الذى كان تحت تأثير اعتقاد جازم بأنه بتقدمه المادى المطرد قد بلغ مرتبة الكمال... ولكن أحداث العقود الأخيرة قد بدلت هذا الاعتقاد.

ولذلك، وقبل الحديث عن التربية الروحية وما تحققه من سمو روحى للإنسان والإنسانية، تجدر الإشارة إلى معنى الروح والتربية الروحية وإلى حاجة العالم للسمو الروحى... وهذا ما يتناوله الفصل الحالى فى ثلاث نقاط، هى:

- معانى الروح فى القرآن الكريم.
- المقصود بالتربية الروحية.
- حاجة العالم اليوم إلى التربية الروحية والسمو الروحى.

أولاً: معانى الروح فى القرآن الكريم:

وردت الروح بعدة معان فى القرآن الكريم، يمكن الإشارة إليها على النحو التالى:

[١] الروح بمعنى الحياة (حياة البدن):

من معانى الروح التى وردت فى القرآن الكريم أنها سر الحياة، وبها تكون حياة البدن، فهى فى داخل كل جسد حى/ وإذا خرجت منه

مات ذلك الجسد، وأصبح الإنسان- أو الكائن الحى- جثمانًا هامدًا، لا حياة فيه ولا قدرة ولا حركة، ويكون بذلك قد انتهت مهمته فى الحياة ومسئوليته وعمله، وهذه الروح ليست شيئًا يدخل ويلتئم مع المادة يضاف إليها ليعطيها الحياة، وإنما هى من أمر الله وإرادته وسر من أسراره سبحانه وتعالى.

وقد وردت فى القرآن الكريم العديد من الآيات التى تشير إلى تلك الروح... منها قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾(الإسراء:٨٥)، و(من أمر ربى) أى من علم ربى أو من إبداعه.

وهذه الروح هى تلك الروح التى نفخ بها سبحانه فى أبينا آدم، فكانت حياته، وينفخ بها فى كل إنسان... قال تعالى عن آدم عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾(ص:٧١-٧٢)، أى أجريت فيه الروح فصار حيًّا. وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾(الحجر: ٢٨-٢٩). وقال عز من قائل: ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىء خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ

السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾(السجدة:٧-٩). ونفخ فيه من روحه أى وضع فيه سرًا من أسراره تكون به حياته[١].

[٢] الروح بمعنى جبريل:

من معانى الروح التى وردت فى القرآن الكريم أنها جبريل عليه السلام، وهو روح القدس، وهو الروح الأمين... قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(النحل: ١٠٢)، وروح القدس هو جبريل[٢]. وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾(الشعراء: ١٩٢-١٩٣). ونزل به أى بالقرآن. أى نزل جبريل بالقرآن الكريم. لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾(البقرة:٩٧).

[٣] الروح بمعنى القرآن الكريم:

من بين معانى الروح التى وردت فى القرآن الكريم، أنها تعنى القرآن الكريم ذاته... لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا..﴾(الشورى:٥٢). أى أوحينا إليك يا محمد قرآنًا[٣]، لقوله تعالى فى سورة الرعد: ﴿لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾(الرعد:٣٠). أى أوحينا إليك القرآن. وهذا ما يؤكده قوله فى سورة يوسف: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ...﴾(يوسف:٣). فالقرآن روح لأنه به تحيا القلوب، ويهدى الله به من أراد له الهداية من عباده إلى صراطه المستقيم.

[٤] الروح بمعنى الوحى:

من بين معانى الروح التى وردت فى القرآن الكريم، أنها الوحى، من قرآن وغيره... قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...﴾(النحل:٢). والملائكة- بصيغة الجمع- تعنى جبريل وغيره، ومن ثم فالمقصود بالروح إذن القرآن وغيره... قال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(غافر:١٥).

وفى قوله: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(النحل:٢)، قيل: بالقرآن، وقيل: بالوحى، وقيل: بالنبوة، وقيل: ببيان الحق الذى يجب اتباعه، ونحو ذلك[٤].

[٥] الروح بمعنى النبوة:

من بين معانى الروح التى وردت فى القرآن الكريم (النبوة) أو الرسالة... قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾(الشورى:٥٢). أى وكالذى أوحينا إلى الأنبياء من قبلك أوحينا إليك (روحًا) أى نبوة قال ابن عباس[٥]. وفى قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(النحل:٢)، قيل: بالوحى، وقيل: بالنبوة[٦].

[٦] الروح بمعنى الأمر والإرادة الإلهية:

الروح- هنا- يقصد بها أمر الله وإرادته... أمره سبحانه الذى يقول للشئ كن فيكون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس:٨٢). فقال سبحانه عن خلق عيسى عليه السلام: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾(التحريم:١٢)، أى روحًا من خلقنا بلا وساطة أب (عيسى عليه السلام)[٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(النساء:١٧١). وكلمته، أى وجد بكلمته تعالى (كن) من غير أب ولا نطفة. قيل: ذو روح مبتدأه من الله، وهو أثر نفخة جبريل فى صدر مريم، حيث حملت بتلك النفخة بعيسى، وإنما أضيف إلى الله تشريفًا وتكريمًا[٨]، وقيل فى (روح منه): أى ذو إرادة وأمر من الله، وذلك لما كان له من إحياء الموتى بأمر الله وإرادته[٩].

[٧] الروح بمعنى الآية والحجة والبرهان:

الروح هنا يراد بها الآية... حيث قال سبحانه فى خلق عيسى عليه السلام: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(النساء:١٧١). قال القرطبى فى تفسير (روح منه)، أنها تعنى (آية منه)، حيث الإتيان بالشىء على غير المألوف، لأنه سبحانه إذا أراد أن يقول للشىء كن فيكون.

والروح هنا- أيضًا- يراد بها الحجة والبرهان. قال القرطبى فى تفسير (وروح منه)، تعنى (وبرهان منه)، فكان عيسى ﷺ برهانًا وحجة على قومه[١٠].

[٨] الروح بمعنى الرحمة:

الروح هنا معناها رحمة الله وفرجه... قال تعالى فى سورة يوسف على لسان يعقوب: ﴿يَا بَنِى اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِّ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِّ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(يوسف:٨٧). ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِّ﴾ أى لا تقنطوا من رحمة الله وفرجه وتنفيسه. و﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِّ﴾ أى فإنه لا يقنط من رحمة الله تعالى إلا الجاحدون المنكرون لقدرته جل وعلا[١١].

وورد المعنى نفسه فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾(الواقعة:٨٨-٨٩). فالروح هنا أيضًا بمعنى الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم، وبقاء له وحياة فى الجنة، وتلك هى الرحمة[١٢]، كما قال القرطبى.

[٩] الروح بمعنى النور الإلهى- والشحنة النورانية الروحية الإيمانية:

الروح هنا بمعنى النور الإلهى والشحنة النورانية الروحية التى تعبئ القلوب وتنيرها... قال تعالى فى شأن من يتصلون بالله

ويحرصون على رضاه: ﴿أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾(المجادلة:٢٢). وأيدهم بروح منه أى بنور يقذفه فى قلوبهم[١٣].

ومع ما أنزله فى قلوبهم من الإيمان أيدهم بشحنة نورانية روحية، فأضاف إلى الإيمان الذى يعمر القلوب شحنة روحية تنير الطريق... فتلك الشحنة وثيقة الصلة بالإيمان، وتابعة له؛ وبالتالى تأتى التنمية الروحية تبعًا للتنمية الإيمانية، ويأتى الجانب الروحى فى الشخصية تبعًا للجانب الإيمانى العقائدى.

فالمولى سبحانه يهدى المؤمنين به والمتجهين إليه بنوره، ﴿...يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾(النور:٣٥). وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾(النور:٤٠). وقال سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ﴾(الأنعام:١٢٢). فبنور الله تشحن القلوب وتنير، وتحيا القلوب والأبدان من مواتها... فالنور روح، والروح نور يقذف فى القلوب.

فالروح هنا هى ذلك النور الإلهى الذى يقذفه فى القلوب، وتلك الشحنة النورانية الروحية التى تنير القلوب، فيسير العبد متبصرًا بها فى صراط الله المستقيم، والتعلق القلبى الذى يجعله على صلة دائمة به سبحانه وفى هدى منه عز وجل، تلك الشحنة التى لا تكون إلا بالصلة الدائمة به سبحانه.

وهكذا، فالنور نور روحى، والشحنة شحنة روحية، والصلة صلة روحية... وهذا المعنى (للروح) هو المعنى المقصود فى هذا الموضوع فى ذلك الجانب التربوى من جوانب الشخصية.

وعلى ضوء ذلك المعنى للروح: فما المقصود إذن بالتربية الروحية؟

ثانيًا: المقصود بالتربية الروحية:

إذا كانت التربية هى التنمية... فالتربية الروحية إذن تعنى: التنمية لتلك الشحنة الإيمانية التى تنير القلب، والتنمية لذلك التعلق القلبى لدى الإنسان بخالقه عز وجل، حتى يكون- ذلك الإنسان- على صلة دائمة به سبحانه وشعور مستمر بمراقبته، وتجعله على يقظة من أمره، فلا يفعل إلا ما يرضى الخالق سبحانه وتعالى، فيسمو بأفعاله وتصرفاته إلى ما فيه الخير له ولغيره.

ثالثًا: حاجة العالم اليوم إلى التربية الروحية والسمو الروحى:

العالم اليوم بحاجة إلى ثقافة روحية، وإلى تربية روحية وسمو روحى. هذا العالم المادى الذى كان تحت تأثير اعتقاد جازم بأنه بتقدمه المادى المطرد قد بلغ مرتبة الكمال، ولكن أحداث العقود الأخيرة قد بدلت هذا الاعتقاد.

فالرقى المادى الذى وصل العالم إليه اليوم لم يؤت ثمرته الفعلية من إسعاد الناس بل على العكس جلب التعاسة والخراب الناجمين عن

الحروب المتلاحقة، فما زال القوى يفترس الضعيف، وما زال الاستعمار ينشب مخالبه فى صدور الدول الضعيفة، وما زالت الأجناس يكره بعضها البعض، وهذا كله يدلنا على إفلاس الحضارة المادية الخالية من القيم الروحية.

ولو نظرنا إلى ما يعانيه العالم اليوم من تدهور فى الأخلاق وانكباب على الرذائل وانتشار الإجرام، لوجدنا هذا بسبب غفلة الشعوب عن خالقها وعن استحضار عظمته التى تجعل فى القلب رهبة تحول بين الإنسان وبين الميل إلى الشر.

فخشية الله من الدعائم التى قامت وتقوم عليها الحياة الروحية التى تسمو بالإنسان إلى كل خير، ولولا خشية الله لاسترسل الإنسان فى شروره، وانكب على شهواته، غير مقيم لمصلحة الغير أى اعتبار، ولما نفعت كل القوانين- الوضعية- التى شرعت للمحافظة على الإنسان من عدوان الغير[١٤].

وهكذا يؤدى السمو الروحى لدى المرء واتصاله الوثيق بالله إلى الإعمار بين البشر، وإلى ما فيه الخير والصلاح للبشرية، بل ويؤدى إلى الإعمار والائتلاف مع كل مخلوقات الله، بينما انقطاع الصلة بين المرء وربه هو أقصى غايات الفساد.

فكل ما فى الإنسان من شر وأنانية وسوء استغلال لأخيه الإنسان

وبناء سعادته على تعاسة غيره وشقائهم... كل ذلك وما على شاكلته ناتج عن بعد الإنسان عن خالقة، وضعف صلته به.

وليس هذا على المستوى الفردى فحسب، بل وعلى المستوى الجماعى والدولى، فبالنظرة الواقعية الموضوعية إلى عالمنا المعاصر، نراه بحاجة إلى ثقافة روحية من خلال تربية روحية ليسمو روحيًّا.

وفى المقابل إن كل ما فى الإنسان من خير ونبل وتضحية وإيثار وإنكار للذات، مستمد من إيمانه بالله ومن قوة صلته به سبحانه، وهذه حقيقة ثابتة مستمد تأييدها من التجربة الإنسانية العامة. ففى كل دولة وفى كل عصر أناس تفجرت مشاعرهم النبيلة من إيمانهم بالله وحسن صلتهم به سبحانه، فأوقفوا حياتهم لصالح الإنسانية وسعادتها؛ لذلك نرى أنه ما من آية فى القرآن الكريم ذكر الله فيها ﴿الذين آمنوا﴾ إلا أضاف إليهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ إشارة منه سبحانه وتعالى إلى أن الإيمان يجب أن يكون مقرونًا بالعمل الصالح، فهو مظهره وثمرته[١٥]. فالإعمار والخير بين البشر إنما يكون فى ظل الإعمار الروحى والصلة الروحية بين البشر ورب البشر، والسمو الروحى لديهم.

لذلك حرص نبى الرحمة ﷺ أول ما وطئت قدماه المدينة المنورة على بناء المجتمع المسلم على أسس سليمة، أول هذه الأسس: بناء مسجده ﷺ لتوطيد العلاقة الروحية بين المسلمين وخالقهم، وليصير إمامًا يؤمه

المسلمون وراء إمام الأئمة ﷺ، ومصنعًا لصناعة الشجعان، ومؤسسة لتربية المسلمين وتعليمهم وإرشادهم إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم.
وثانيها: توطيد العلاقة الروحية بين المسلمين فيما بينهم، مهاجريهم وأنصارهم، فآخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وزاد من قوة هذه المؤاخاة بميثاق الإخاء الإسلامى القائم على الأخوة فى الله فى صحيفة مكتوبة، تأكيدًا لزيادة قوة المؤاخاة وتماسكها، واستئصالًا لعصبية الجاهلية، وتعاونًا على نصرة هذا الدين، ووقوفًا ضد من أراده بسوء.
ثم ثالثها: بحرصه ﷺ على توثيق العلاقة وتأمينها مع غير المسلمين بالمعاهدة مع اليهود، والتى سجلت فى صحيفة بلغت نحو ثلاثين بندًا[١٦].

وهكذا... فالصلاح والفلاح للفرد والمجتمع، بل وللبشرية جمعاء، إنما يكون بصلاح الأفراد من جهة، وبصلاح الصلة والعلاقة بينهم من جهة ثانية... وهذه وتلك لا تكون إلا بحسن صلة العبد بخالقه وصلاحها والعمل وفق مرضاته سبحانه وتعالى.

وإذا كانت هذه الصلة، بين العبد وخالقه، صلة روحية، وتحتاج لسموها إلى تربية روحية... فالسؤال الآن: كيف يمكن تربية الفرد تربية روحية؟ أو بمعنى آخر: كيف يمكن تربية الأبناء والآباء تربية روحية؟

ولعل الفصول التاليات، من هذا الكتاب، تجيب على هذا السؤال.

هوامش الفصل الأول

(١) محمد حسن الحمصى: **تفسير وبيان القرآن الكريم**، دمشق وبيروت، دار الرشيد، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، ص٤١٥.

(٢) القرطبى: **تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن الكريم)**، القاهرة، دار الريان للتراث، جـ٦، د.ت (٦/ ٣٧٩٣).

(٣) القرطبى: **تفسير القرطبى**، (٩/ ٥٨٧٤).

(٤) القرطبى: **تفسير القرطبى**، (٦/ ٣٦٨٣).

(٥) القرطبى: **تفسير القرطبى**، (٩/ ٥٨٧٤).

(٦) القرطبى: **تفسير القرطبى**، (٦/ ٣٦٨٣).

(٧) محمد حسن الحمصى: مرجع سابق، ص٥٦١.

(٨) محمد على الصابونى: **صفوة التفاسير**، القاهرة، دار الصابونى للطباعة والنشر والتوزيع، جـ١، د.ت، ص٣٢٢.

(٩) محمد حسن الحمصى: مرجع سابق، ص١٠٥.

(١٠) القرطبى: **تفسير القرطبى**، (٣/ ٢٠١٨-٢٠١٩).

(١١) محمد على الصابونى: **صفوة التفاسير**، القاهرة، دار الصابونى للطباعة والنشر والتوزيع، جـ٢، د.ت، ص٦٥.

(١٢) القرطبى: **تفسير القرطبى**، (٩/ ٦٤٠٢).

(١٣) محمد حسن الحمصي: مرجع سابق، ص٥٤٥.

(١٤) عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح الدين الإسلامي**، بيروت، دار العلم للملايين، ط٨، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ص١٧٩،١٥٧.

(١٥) المرجع السابق، ص١٧٣.

(١٦) مصطفى مراد: **سيرة الرسول**، القاهرة، دار الفجر للتراث، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ص٢٤٠-٢٤٥.